

تحويل المجهود القتالي والحربي للحركات التكفيرية بعيداً من الاستهداف المباشر للغرب. في مرحلة أفغانستان كان العدو هو الاتحاد السوفياتي، وفي المرحلة التي تلتها بدأ استهداف المصالح الأميركية في المنطقة والعالم وصولاً إلى الحادي عشر من أيلول. نجحت عملية التوجيه والتحكم غير المباشر في العراق في جعل المصالح الأميركية أولوية ثانوية للحركات التكفيرية مقابل أولوية استهداف القوى المحلية الأخرى.

أما في سوريا فقد أصبحت المصالح الأميركية في منأى كامل عن الاستهداف التكفيري، وصولاً إلى تجربة «داعش» التي ألغيت من قاموسها تقريباً استهداف المصالح الأميركية، حيث أصبح الهم الرئيسي منصباً في الناحية الجغرافية اقامة وتوسيع الدولة والحفظ على اراضيها.

في النتائج العميقة والبنوية استطاع الأميركي أن يمنع التكفيريين من الحركة في المناطق التي يشكل وجودهم فيها تهديداً أو خطراً على مصالحه. ونتيجة للسيطرة الأميركية الواسعة، فإن الجماعات التكفيرية لم بعد باستطاعتها التحرك بفعالية ذات نتائج سياسية مؤثرة إلا حيث ينتفي التعارض مع المصالح الأميركية، أي حيث تكمن المصلحة الأميركية في وجودهم، وبذلك أصبحت هذه الجماعات، بشكل موضوعي، جزءاً من المشروع الأميركي، ومع الوقت أصبحت تتلافى كل الأمان الحساسة بالنسبة للأميركي وتعمل في المناطق الأقل حساسية.

* باحث لبناني

بالقدر الممكن، واستثمار طبيعتها الدموية والتدميرية في خدمة المشاريع الاستراتيجية الأميركية؛ فقد نجحت في أفغانستان وخرج السوفيات منها، ونجحت في العراق عام 2003 في تسعير الفتن الطائفية والعرقية، وفي سوريا الآن استفادت أميركا من هذه الحركات في تدمير جزء كبير من بنية دولة

استطاع الأميركي أن يمنع التكفيريين من الحركة في المناطق التي يشكل وجودهم فيها تهديداً أو خطراً على مصالحه

نجحت هذه الاستراتيجية في تحويل المجهود القتالي والحربي للحركات التكفيرية بعيداً عن الاستهداف المباشر للغرب

مركزية في حلف المقاومة. واستفادت إسرائيل في إيجاد حزام حاجز على حدود الجولان قوامه قوات جبهة النصر، وفي العراق الآن تمثل تجربة «الدولة الإسلامية» أماناً ننتظر مآلاتها وسيقاتها الاستراتيجية. في المدى البعيد نجحت هذه الاستراتيجية في

ولذلك أتيج المجال لحضور التفكيريين لتبرير التدخل كما هي الحال في العراق 2003. رابعاً، حاجة أميركا والدول الغربية لتصدير العناصر الفكرية الناشطة على أراضيها والتخلص منها.

الحلفاء الإقليميون لديهم هموم أخرى، أهمها الحاجة لتخفيف الضغط الداخلي الذي تشكله الحركات التكفيرية الانقلابية الطابع، وحل المشاكل الفقهية في التعامل مع هذه الجماعات التي تخفف من خطابها التكفيري تجاه الأنظمة عندما تجد نطاقاً مناسباً لحراكها خارج الدول الأم. في مستوى آخر تحتاج الدول العربية والإسلامية إلى التخلص من البنى التنظيمية التكفيرية أو إضعافها بأكبر قدر ممكن من خلال دفعها إلى مناطق قتل وكما أن استراتيجية كما فعلت السعودية عام 2003 حيث صدرت مشكلتها مع القاعدة نحو الأراضي العراقية. وتخلصت من الأزمة الخائفة آنذاك. الدافع الأخير لدى هذه الدول للمساهمة في استراتيجية التحكم غير المباشر ذو بعد اقليمي يتعلق بتوظيف تلك الجماعات لتحقيق أهداف سياسية إقليمية كما هي الحال في سوريا منذ 2011.

الجماعات التكفيرية بطبيعتها الخاصة أوجدت القابلية لممارسة هذه الاستراتيجية تجاهها، فعدائيتها وتكفيرها للجميع وحتى تكفيرها لبعضها بعضاً وجدت نفسها قابلة للتوجه في أي اتجاه ممكن ومتاح، ويتشردنهما الفكري والفقي وقندان القيادة والاستراتيجية الموحدة أوجدت قابلية اختراق بنيتها وتوجيهها بشكل متفرق. وهي تعاني كذلك من الضعف الشديد في الوقاية الأمنية ما سهل عمليات التجنيد والاختراق الاستخباري. وثمة مشكلة رئيسية تتعلق بالتمويل وهو فقدانها لدولة اسلامية مستقلة داعمة توفر لها ما تحتاجه من المال، لذلك تعتمد على الدول التابعة للولايات المتحدة حصرًا مثل السعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة وتركيا وباكستان. من ناحية أخرى، ونتيجة للضغط الأمني والسياسي الذي تتعرض له الجماعات التكفيرية كانت في أغلب الأحيان في حالة البحث عن أي متنفس يتاح لها، خصوصاً أن خطابها يحمل أهدافاً طموحة جداً بالمقارنة مع قدرتها والنطاق الضيق الذي تتحرك فيه.

المسارات والمكتسبات

التجارب الرئيسية لهذه الاستراتيجية هي أفغانستان 1979، العراق 2003، سوريا 2011، وقد نجحت هذه التجارب إجمالاً في تحقيق غايتها الرئيسية وهي تحويل التهديد الذي تمثله الحركات التكفيرية إلى فرصة

النماذج التطبيقية

استخدام حزم الأدوات هذه جرى في سياقات وظروف مختلفة، ففي النموذج التأسيسي في أفغانستان 1979 كان السياق محددًا بشكل مسبق من قبل الولايات المتحدة، حيث وضع الخطة مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي زبغنيو بريجنسكي لاستخدام الإسلاميين إلى أفغانستان واستدراج السوفيات وفتح معركة استنزاف بعيدة المدى معهم. أما في النموذج الثاني فقد بدأ بعد الحادي عشر من أيلول حيث مارست الولايات المتحدة حزمة الضبط تجاه الجماعات التي خرجت من أفغانستان تبحث عن مساحة حراك وحصل اصطدام المصالح الذي نتج منه حرب أفغانستان 2001 وعملية الضبط الأمني الشاملة في السعودية. ولاحقاً تم تحويل زخم هذه الجماعات نحو العراق 2003 تحت شعار قتال أميركا ليمت توجيهها نحو الاقتتال الداخلي. ومن بعد ذلك بدأت عملية التوظيف الكبرى في سوريا ولا تزال حيث كانت الجماعات التكفيرية تحمل في وعيها الفكري وذاكرتها السياسية مشروعاً قديماً هناك، وكان من نتائج هذه العملية نشوء «داعش» التي تم إعادة توجيه جهده القتالي نحو العراق في التقاء مصالح محدود لم يسمح له الأميركي بتجاوز نطاقه المحدد. والآن بدأت «داعش» في التوجه نحو استهداف السعودية التي استدرجت التحالف الدولي لضربها.

الضرورة وقت الممكن

اعتمدت الولايات المتحدة وحلفاؤها وتوابعها الإقليميين هذه السياسة المثلثة الأبعاد، نظراً لتعمق حالة العداء تجاهها لدى الشعوب العربية والإسلامية وضعف الجيش الأميركي عن الحضور الميداني لأسباب عسكرية واقتصادية، في ظل نمو القوى المعادية لأميركا وإسرائيل باطراد، بحيث برزت الحاجة لجيوش بديلة يمكنها القيام بمهام استراتيجية أو تكتيكية. ثانياً، صعوبة المواجهة المباشرة مع الجماعات التكفيرية التي استطاع بن لادن بشكل مؤقت في أواخر التسعينيات وبداية الألفية الثانية دفعها نحو قتال العدو البعيد والحاجة التي نشأت بعد 11 أيلول إلى إعدادتها نحو إيديولوجيتها المفضلة في استهداف العدو القريب والأعداء المحليين.

ثالثاً، احتاجت المنظومة الغربية إلى مبرر للتدخل العسكري في كثير من الأحيان وكذلك إلى عقد اتفاقات (أمنية، اقتصادية...) بعيدة المدى مع الدول المستهدفة بالإرهاب التكفيري،

الحلفاء الإقليميون لديهم هموم أخرى، أهمها الحاجة إلى تفهيم الضغط الداخلي (أضرب)



التسعين كان رئيساً للمجلس التشريعي لنظام بن علي بعد ثورة أطاحت بن علي وكان عمادها الجيل الشاب، كما يفوز حزب هذا الرئيس المنتخب بالمرتبة الأولى في الانتخابات البرلمانية، وهو حزب يشكل طبعة منقحة عن حزب بن علي. في اليمن يعود الرئيس السابق علي عبدالله صالح إلى السلطة بين يومي 21 أيلول 2014 و6 شباط 2015 من وراء ستارة الحوثيين. في مصر، التي تشبه ثورة 25 يناير 2011 وصولاً إلى انقلاب 3 يوليو 2013 مسار ثورة 24-25 شباط 1848 الفرنسية حتى انقلاب 2 كانون أول 1851 كما يشبه السبسي لويس بونابرت، كان أحد مؤشرات فشل الثورة المصرية ليس فقط انقلاب 3 يوليو وإنما أيضاً ما يرمز إليه ويعكسه في الفضاء السياسي المصري القضائي لحسن مبارك الآن بالقياس لمصير رئيس منتخب هو محمد مرسي ولكن هنا تأخذ رمزية أكثر مآلات المتحدث السابق باسم (ائتلاف شباب الثورة) أحمد دومة: مجموع سجونته في عهدي مبارك ووطنطاوي تبلغ ثماني عشرة مرة. سجنه مرسي مرتين، حكم عليه السيسي بالمؤبد.

* كاتب سوري

عام 1660. ربما أيضاً كان انقلاب نابليون بونابرت في 9 تشرين ثاني 1799 ايذاناً بهزيمة واترلو عام 1815 وبفشل ثورة 1789 ولو أن نجاحاته هو وكرومويل قد أعطتا دفعا لأن تكون ثورات لاحقة استمراراً وتكميلاً لثورتي 1642-1649 و1789. كادت ثورة شباط 1917 أن تنتهي

أحد مؤشرات فشل الثورة المصرية ما يرمز إليه المصير القضائي لحسن مبارك

إلى هذا المصير في أب لولا تحالف لينين مع كرنسكي ضد حركة الجنرال كورنيلوف وبعد هزيمة الأخير قام الزعيم البلشفي بالإطاحة بحكومة كرنسكي في ثورة أكتوبر 1917. كانت سيطرة سنالين وديكتاتوريته الفردية منذ عام 1929 بداية لفشل ثورة البلاشفة والتداعي اللاحق للبناء السوفياتي. هنا، بعد أربع سنوات من «الربيع العربي»، التي حصلت فيه ثورات في تونس ومصر وما يشبه الثورة في اليمن، يفوز بالرئاسة التونسية شخص مسن يقارب عمره

لعوامل عدة: الميل إلى السكينة والنظام بعد موجات من الاضطراب السياسي، وعامل تضخم جهاز الدولة الفرنسية (موظفون نصف مليون، وجيش أيضاً نصف مليون) وإلى أن الدولة «جعلت نفسها مستقلة تمام الاستقلال، وقد وطد جهاز الدولة مركزه إزاء المجتمع المدني» وفق تعبير ماركس، مع تخلي بورجوازية المال والبورصة عن الأورليانيين لصالح ديكتاتور فرد يأخذ صورة الإمبراطور نابليون الثالث. في انقلابه والذي رأى تاييداً شعبياً كبيراً، أعطى من خلاله غالبية الفرنسيين مقاديرهم ومصائرهم ووضعها بيد فرد واحد، قدم لويس بونابرت نفسه بوصفه (حامي النظام) و(رمز الاستقرار) وقد لقي تعبيره قبل أشهر من الانقلاب تاييداً شعبياً كبيراً: «فرنسا تطالب قبل كل شيء بالسكينة».

هذه سيرورة ثورة لغالبية في مجتمع انتهت بعد ثلاث سنوات وعشرة أشهر باستقالة غالبية مجتمعية من السياسة وتسليم مصائرهما لفرد واحد. في انكلترا ثورة 1642-1649 حصل شيء مماثل مع أوليفر كرومويل عام 1653 لما قام بحل البرلمان ونصب نفسه (الحامي: البروتكتور). عادت الملكية إلى انكلترا

مقادير الأمور إلى فرد رأوا فيه (المخلص - المنقذ) رغم أنه لم يكن على أية صفة من صفات عمه العظيم. ضد الناسيونال ساند الشرعيون والأورليانيون لويس بونابرت وظنوا أنه وسيلة مؤقتة لتصفية الحساب مع الجمهوريين الدستوريين الذين رأوا فيهم الخطر الرئيسي بعد تصفية اليسار في حزيران 1848. تعاون لويس بونابرت معهم وساندهم ضد الناسيونال في انتخابات الجمعية التشريعية بيار 1849. ساد الأورليانيون والشرعيون البرلمان ومن خلاله الساحة السياسية حتى أيار 1850 عندما بدأ لويس بونابرت بوجه حرايه ضدهم ويضع سلطة الرئيس في مواجهة الجمعية التشريعية. كان تكتيك الشرعيون والأورليانيون هو السيطرة على الجمعية من أجل منع التجديد لولاية الرئيس ثانية عام 1852 ومن ثم إعادة النظام الملكي. استندوا للمادة 45 من الدستور، ولكن أمام بونابرت بدأت انقساماتهم: من الملك القادم: أورلياني أم بوربوني، ثم بدأ جناح أورلياني يحنز للجمهورية (بزعامه رئيس الوزراء السابق لوي فيليب: نير). يرى كارل ماركس أن ما ساعد لويس بونابرت في نجاح انقلابه العسكري ضد الجمعية التشريعية وحلها واعتقال زعمائها يعود